

جامعة الموصل

كلية الآداب

القسم: التاريخ



عنوان المحاضرة: الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة

المادة الدراسية: تاريخ الفكر السياسي الاسلامي

المرحلة الدراسية: دكتوراه تاريخ اسلامي

مدرس المادة: أ.د. نايف محمد شبيب

العام الدراسي: ٢٠٢٥-٢٠٢٦

الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة

اختلف مؤرخو الفرق حول الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة، فيذهب البعض، إلى أن ظهورها كان على يد واصل بن عطاء، بعد اعتزاله مجلس الحسن البصري، ثم انضم إليه عمرو بن عبيدومن واقفهما على رأيهما في مرتكب الكبيرة، وبذلك تكونت فرقة المعتزلة.

ويضيف الشهرستاني قوله: «إنه دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار، فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي وأصحابه معتزلة.

أما البغدادي فيذكر أنه: (لما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز، اختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق، وزعم أن الفاسق في هذا الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه طرده من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فقال الناس: إنهما اعتزلا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ معتزلة.

وكيفما كان الأمر فقد ربطت تلك الروايات ظهور الاعتزال بواصل بن عطاء والحسن البصري وعمرو بن عبيد، ولا شك أنه تتوفر فيها من عناصر الصحة خاصة ما يفيد أن هذه الفرقة ظهرت فجأة، وليس لها ارتباط بزمان سابق في واقعه وأحداثه.

ويرى بعض المؤرخين والباحثين القدامى، والمحدثين أن روح المعتزلة كان لها جنور في أحداث الفتن التي وقعت منذ حرب الجمل، وراج اسم الاعتزال منذ بدأت الفتنة، فقد جاء في تاريخ الطبري ما نصه: لما رجع الأحنف بن قيس من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال: ما رأيك؟ قال: الاعتزال».

ويتحدث الحسن النوبختي (ت) ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) موضعاً مواقف المسلمين بعد مقتل عثمان، فيقول: وفرقة منهم اعتزلت مع سعيد بن مالك، وهو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله - ﷺ - وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضاء به فسموا معتزلة، وصاورا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد. وهذه الرواية تثبت أن معتزلة الفتنة هم أسلاف المعتزلة واصل بن عطاء.

ويورد الملطي (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) رواية أخرى متحدثاً عن فاروق الحسن بعد مبايعة معاوية فيقول: عنما بايع الحسن بن علي - عليه السلام - معاوية، وسلم له الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشغل بالعلم والعبادة، قسموا بذلك معتزلة، والأصول التي عليها خمسة.

ويتضح من ذلك أن الملطي يتحدث عن معتزلة الفتنة ومعتزلة واصل بن عطاء كما لو كانوا فرقة واحدة.

ومما يوضح أن الاعتزال الواسلي له صلة باعتزال الفتنة قول الملطي إنه: «كان بالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء، جاء به من المدينة.

ويعتبر كل من النوبختي والملطي من أقدم من كتب في الفرق، مما يعطى قيمة كبيرة لرأييهما.

ويرجع المعتزلة أصولهم إلى النبي - ﷺ - ، إذ يذكرون أن واصل وعمره قد أخذوا مذهب الاعتزال عن أبي هاشم عبد الله، وأخذ هذا عن أبيه محمد بن الحنفية، وهذا عن والده علي بن أبي طالب، وأخذ علي عن النبي - ﷺ - وهذا ما رواه محمد بن الحنفية وقد سأل أبو هاشم عن مبلغ علم أبيه محمد بن الحنفية، فقال: إذا أردتم معرفة ذلك فانظروا إلى أثره في واصل بن عطاء.

والمعتزلة يروون في كتبهم أن مذهبهم أقدم في نشأته من واصل بن عطاء، وقد ذكروا أبا بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - في الطبقة الأولى من طبقات أنمتهم (1) ويذكرون الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب في رجال الطبقة الثانية، وينسبون إليهم القول بالعدل والتوحيد، ويعنون الحسن البصري في الطبقة الثالثة من أنمتهم فإن كان واصل قد انشق عن الحسن البصري في مسألة مرتكب الكبيرة فلا يمنع ذلك أن يكون قد تبعه في الأصول الأخرى كنفى القدر ، وقد ذكر المعتزلة أن له آراء في العدل والتوحيد.

ويربط بعض الباحثين المحدثين بين معتزلة واصل والفتنة التي سميت بهذا الاسم قبل مدرسة الحسن البصري بزمان طويل، والتي وقفت موقف الحياد من مشكلة علي ومعاوية لأنها لم تتبين وجه الحق في أي الجانبين ، وقد اعتزلوا الناس وأطلق عليهم هذا الاسم لعدم موافقتهم على انتقال الخلافة إلى معاوية، وابتعدوا عن المجتمع السياسي، ولجأوا إلى العبادة.

والواقع أن نشأة المعتزلة لم تكن مستقلة عن الصراع السياسي الذي كان قائماً في العصر الأموي حول الإملاء، وأن الخلاف الذي وقع بين واصل وأستاذه الحسن البصري

حول مرتكب الكبيرة هو خلاف نو أصل سياسي مهما بدا في طابع ديني عقائدي، وقد ظهر اسم المعتزلة سياسياً في حروب علي وأصحاب الجمل وفي حروب علي ومعاوية لكنه لم يستخدم للدلالة على طائفة معينة.

ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين إنما هم امتداد المعتزلة السياسيين الذين وقفوا موقف الحياد في النزاع بين أنصار علي ومعاوية، ثم بين أنصار زرية علي والخلفاء الأمويين فيما بعد.

وكيفما كان الأمر فإن الاعتزال مذهب نو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس إلى آخر، وأنه معنى من المعاني وليس حركة جسمية، وأن إطلاقاً على مدرسة واصل بن عطاء وعمره بن عبيد كان إحياء للاسم القديم لا ابتكاراً، وأن انتقال واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد من حلقة إلى أخرى أو من سارية إلى سارية أخرى في المسجد ليس بالأمر الذي تتكون به فرقة دينية.

مبادئ المعتزلة الدينية: للمعتزلة مبادئ وأصول خمسة يكادون أن يشتركوا فيها جميعاً ، من خالفهم فيها فليس منهم، ومن وافقهم فهو منهم ، ولا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بهذه الأصول وهي:

التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال القاضي عبد الجبار: إن المكلف إذا عرف هذه الأصول، يلزمه معرفة الفقه والشرع.

وكانت هذه الأصول وليدة المناقشات التي كانت تقوم بينهم وبين مخالفيهم، فالتوحيد للرد على المشبهة والمجسمة، والعدل كان للرد على الجهمية والوعد والوعيد للرد على المرجئة، والمعتزلة ردوا بها على الخوارج، وخلاف المعتزلة مع الإمامية، دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعتبر هذه الأصول الخمسة ملجزم وأصل مذهبهم مع اختلافهم في الفروع ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الإيمان بهذه الأصول مجتمعة قد ميز المعتزلة كفرقة عن سواهم من المذاهب والفرق والمدارس، وقد سمي المعتزلة بهذه الأصول.

1. التوحيد:

ويقصد المعتزلة بالتوحيد نفى الصفات القديمة، والدفاع عن وحدانية الله عز وجل ووجهوا جهدهم إلى تركيز حقيقة التوحيد في النفوس، فقالوا بوحدة الذات والصفات أي أن ذات الله وصفاته شيء واحد، وأنكروا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته.

و مضمون فكرتهم عن نفى الصفات أن الله واحد من كل وجه، وهذا يعني أن صفاته ليست زائدة على ذاته، حي بالذات، قادر بالذات، لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً، فمن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين.

وكان المعتزلة يعنون أنفسهم أعمق الطوائف إيماناً بوحدة الله وأرشدتهم دفاعاً عن هذه العقيدة وتحما لها، وقالوا: من خالف التوحيد ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه فانه يكون كافراً.

ومن أصول التوحيد عندهم أن الله ذات فقط، وكل ما يطلق عليه من صفات، ما هو لا وجه لذات واحدة، بسيطة لا قسمة فيها، ولا كثرة، ويرى الشهرستاني: (أن القول بنفى الصفات لما بداه وأصل كان غير ناضج، فهو قد شرع على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، أما المعتزلة الذين خلفوه فقد أخذوا يطالعون كتب الفلاسفة فتوسعوا في هذه المسألة، وقد وافق المعتزلة الفلاسفة على هذا القول. واستبدل بعض المعتزلة لفظ الصفات كمعمر بن عباد السلمي، واستعمل بدلها كلمة المعاني وسمى هو واتباعه أصحاب المعاني، كما استبدل أبو هاشم الجبائي (لفظ الصفات ودعاها أحوالاً وقال: إذا قلنا أن الله عالم أثبتنا لله حالة خاصة هي العلم وهي وراء كونه ذاتاً، وإذا قلنا أن الله قادر أثبتنا لله حالة خاصة هي القدرة وهي وراء كونه ذاتاً، وهكذا في سائر الصفات.

وأجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وليس بجسم، وليس بذي جهات، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان، ولا يوصف بشئ من صفات الخلق

2- العدل:

وهو الأصل الثاني من أصولهم وأهمها، وكان المعتزلة يفخرون به، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد وأهل العدل والعلوية، والعدل على مذهب أهل الاعتزال، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

وقالوا: إن الله يسير بالخلق الى غاية، وإن الله يريد خير ما يكون خلقه ، وأن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه ، ويعنون أيضاً بالعدل نفى القدر، والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيهاً لله عن أن يضاف له الشر .

يقول القاضي عبد الجبار من خالف العدل وأضاف الى الله القبح من ظلم وكذب وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب فإنه يكفر .

وقالوا: إن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة و غرض، ولما تقدس الله تعالى عن الانتفاع تعين إنما يفعل لينفع غيره ، وأن العدل من صفات الله والظلم والجور منفيان عنه، وأن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يحب الفساد، والعدل يتحقق في الزمان، والله لم يزل عادلاً، ولكنه يطبق عدله عند ظهور الشر من الكائن العاقل، المحدث، المختار لأفعاله.

ومعنى هذا أن كل فعل من أفعاله الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير فانه لا يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم، وأنه أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم .

3- الوعد والوعيد

الوعد هو : كل خير يتضمن إيصال نفع الى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، أما الوعيد: فهو كل خير يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل ويعنى هذا المبدأ من مبادئ المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب أي من أحسن عملاً فيجازي بالحسان إحساناً، ومن أساء يجازي بالإساءة عذاباً أليماً وقد قصد المعتزلة الأثر النفسي الذي يحدثه مبدأ الوعد والوعيد، (فإذا علم المذنب أي مرتكب الكبيرة أنه لا يعاقب على ذنبه، بل عفى عنه لم ينزجر عن الذنب بل كان ذلك تقريراً له على ذنبه وعدم التوبة عنه، وكان أغراء للغير عليه).

وقد وافق واصل بن عطاء وعمر بن عبيد الخوارج في تأييد صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر.

وقالت المعتزلة ان المعاصي تنقسم الى صفائر وكبائر، والكبيرة ما أتى فيها وعيد وقالوا: إن الكبائر شر بعضها يصل الى حد الكفر، فمن شبه الله أو جوره في حكمه أو كذبه في خبره فقد كفر، ويقول الشهرستاني حينما قرر هذا الأصل من أصولهم: واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا ووعيد

4- المنزلة بين المنزلتين

يقول القاضي عبد الجبار: (المنزلة بين المنزلتين هي العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكيمين، وقد جعل واصل بن عطاء الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والايمان، اذ قال: «أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر.

ويرى المسعودي أن هذا الأصل نقطة البدء في تكوين المعتزلة فيقول: (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه، وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال.

ويقول الأسفراييني ومما اتفقوا عليه من فضائعهم قولهم: إن حال الفاسق الملي منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلداً في النار.

وفي إطار هذا الأصل كان الخلاف مع المرجئة من جانب، والخوارج من جانب آخر وذهب المعتزلة أيضاً إلى القول بأن مرتكب الكبيرة الذي لم يتوب يكون حاله في الآخرة التخليد في النار، وإن يكن في درجة أخف من درجة الكفار.

ويقول الخياط: فوجب أن صاحب الكبيرة ليس المؤمن بزوال أحكام الإيمان عنه في كتاب الله، ووجب أنه ليس كافراً بزوال أحكام الكفر عنه، ووجب أنه ليس بمنافق بزوال أحكام المنافقين عنه في سنة رسول الله - ﷺ، ووجب أنه فاسق فاجر لاجتماع الأمة على تسميته بذلك وبتسمية الله في كتابه.

وقد جعل المعتزلة فكرة المنزلة بين المنزلتين خطة للاعتدال في الأمور، والتوسط بين المتطرفين، ويرى البعض أن مبدأ المنزلة بين المنزلتين هو الخطوة الأولى في ظهور المعتزلة وتميزها كاستمرار في ميدان الفكر والنظر.

وهذا المبدأ هو سبب للخلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء، ذلك الخلاف الذي تبلورت على أثره مدرسة المعتزلة كمدرسة مستقلة ورثت كل تقاليد القائلين بالعدل والتوحيد في تراث المسلمين.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا هو الأصل الخامس من أصول المعتزلة، ويرى المعتزلة أنه لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليدين إن لم يغننا اللسان وبالسيف إن لم تكف اليد، لقوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله، فإله أمر بإصلاح ذات البين أولاً، ثم بعد ذلك بما يليه إلى أن انتهى إلى المقاتلة.

يقول ابن حزم: ذهب المعتزلة إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك.

وكان المعتزلة يعتقدون أنه لا فرق في باب المناكير بين أن تكون من أفعال القلوب وبين أن تكون من أفعال الجوارح في أنه يجب النهي عنها، إذ النهي عنها واجب لقبحها، والقبح يعمها).

وقد حكى الأصفهاني أن عبد الكريم بن أبي العوجاء كان يفسد الأحداث بالبصرة فقال له عمرو بن عبيد قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله دينك فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاماً أتى فيه على نفسك، فلحق بالكوفة، فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه.

ونرى واصل بن عطاء أنه في ثبوت ما يشهد على الحاد بشار بن برد، يقول: «أما لهذا الأعمى الملحد المكنى بأبي معاذ من يقتله؟».

وتعاون واصل واتباعه من معتزلة البصرة أمثال عمرو بن عبيد على طرده من مدينتهم، وكان الخوف قد بلغ من بشار فيارحها وظل غائبا عنها حتى توفي عمرو بين عبيد خليفة واصل سنة ١٤٥ هـ .

وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يضطهدون مخالفيهم وبقون عليهم. لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكرا ، ويقول القاضي عبد الجبار: ولهذا نباهي بالحسين بن علي على سائر الأمم، فنقول: لم يبق من ولد الرسول - ﷺ - إلا سبطا واحدا، فلم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قتل في ذلك.

وهذا المبدأ هو الذي جعل للمعتزلة موقفا فعالا في الدولة، وجعل لهم سلطانا على الناس يوم أتيح لهم ذلك^١.

^١ - احمد شوقي، المعتزلة في بغداد والثرهم في الحياة الفكرية والسياسية،